مفتتح

ثمة أساس كاف، بل بات من الضروري، إبراز النموذج النقيض، أو النموذج الآخر، لما هو سائد اليوم، بما يتماشى مع كلمات «لا تستوحشوا طريق الحق لقلة السائرين فيه» بما تحمله من مدلولات في ظل ما تشهده الساحة الفلسطينية «والعقل القيادي» من طغيان للعلانية والمكتبية والإخفاق وإضاعة الاتجاه. وهذه الأطروحة كعملية عقلية طليقة، بحثاً عن جوهر الأشياء إنما تحاول الاسترشاد بالتراث الرشدي (ذلك أن فلسفة ابن رشد قد مثلت قاعدة انطلاق للعقلانية الأوروبية الحديثة... حيث كتب أنجلز: لقد ورث الأوروبيون حرية الفكر المشرق من العرب)[١]، فكم بالحري بنا، ألا يجدر الاتكاء عليه في استقراء البراكسيس الذي جسدته الجبهة الشعبية؟ استقراءً لا يكتفي بالقشور أو السرد الصحفي بل يذهب للتعلم من المنهج الخلدوني (فالتاريخ عند ابن خلدون ليس سرداً للأخبار... فالعلم يقضي نقض الظاهر للوصول إلى الباطن، والنقض عملية استخراج للواقع من ظاهر يحجبه، ولا بد في هذه العملية من إنتاج الأدوات النظرية الضرورية لها... الواقع كمادة للمعرفة ليس حدثاً بل علاقة، أو مجموعة مترابطة من العلاقات التي تولد الأحداث)[٢]، وبالتالي فالمقاربة محاولة للجمع بين العقل والعلم، في تناغم بين الجبهة ككائن حي يفعل وينفعل وبين (علم السياسة باعتباره كائناً حياً ينمو ويتطور)[٣]، ذلك أن الصواب يقتضي أن تعكس الصورة الذهنية الواقع المعين لبراكسيس الجبهة الذي ولد واشتد ساعده واستفحلت أزمته وتهمش وهو ينبض في رحم الشعب ومنعطفات مسيرته، دون أن تخونه العزيمة، إجمالاً، يضافر جهده مع جهد سواه لقلب المعادلة التي صورها بمرارة فرانزفانون (إن مدينة المستوطنين مدينة راسخة، مدينة مشرقة، بنيت من الحجر والصلب، حسنة التغذية، ميسورة... أما مدينة الشعب المستعمر، مدينة الوطنيين، فالناس يعيشون فوق بعضهم بعضا، مدينة جائعة، تتمرغ في الوحل)[٤]، ومواجهة العنصرية الإقصائية التي لخصها إدوارد سعيد بالقول (من المهم أن نلاحظ أن فكرة التخلص من الفلسطينيين كانت أمراً ثابتاً في الفكر الصهيوني منذ بدايات القرن العشرين سواء كان ذلك لدى اليسار أو اليمين أو الوسط. كل مفكر صهيوني رئيسي تحدث دائماً عن ترحيل الفلسطينيين، طرد الفلسطينيين، التخلص من الفلسطينيين، جعلهم يتلاشون في الهواء كالأرواح)[٥].

---

١) المؤذن، عبد السلام. ثورة ماركس في نظرية المعرفة. ص١٠

٢) د. عامل، مهدي. في علمية الفكر الخلدوني. دار الفارابي. ٢٠٠٦. ص ١٣، ١٤

٣) غرامشي، أنطونيو. كراسات السجن. دار المستقبل. ص١٥٢

٤) ووديس، جاك. نظريات حديثة في الثورة. دار الفارابي. ١٩٨٦. ص٣٢

٥) حمد، علي. التسامح في فكر إدوراد سعيد. مركز رام الله لدراسة حقوق الإنسان. ٢٠٠٧. ص١٢٢